الصواريخ والعمل العسكري الاستباقي

قبل دخول الصواريخ الباليستية الى الشرق الاوسط، كانت اسرائيل تتخذ موقفاً حربياً يتّسم، الى حد كبير، بعدم الالتزام بالمعايير الدولية الضابطة والكابحة. وتتعدّد الامثلة، في هذا الخصوص، على الحروب التي خاضتها ضد العرب، ومنها مشاركتها في العدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦، وحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، والغزو الاسرائيلي للبنان صيف العام ١٩٨٢. ولا تزال اسرائيل، على الرغم من دخول الصواريخ الباليستية الى المنطقة، تتمسّك بهذا الموقف.

وبالنظر الى اتخاذ اسرائيل للموقف الاستراتيجي الذي يقوم على أخذ زمام المبادرة العسكرية، وعلى القيام بالعمل العسكري الاستباقي، فانها ستنحو، في عهد الصواريخ الباليستية في المنطقة، منحى الاستباق الى الهجوم على دول عربية لتدمير هذه الصواريخ، ذلك ان صِغَر المسرح الجغرافي، نسبياً، بين اسرائيل ولبنان أو سوريا، أو حتى الاردن، يجعل المكاسب العسكرية التي تحققها ضربة بالصواريخ الباليستية ذات نتائج استراتيجية خطيرة. ولعلّ البدء بضربة من هذا النوع، خصوصاً اذا تضمّنت عدداً أكبر من الصواريخ الحاملة للرؤوس الحربية ذات القدرة التدميرية الاكبر، يمكنها ان تحسم حرباً جديدة، وان تقرّر، بصورة مسبقة، نتيجتها.

ولما كانت اسرائيل تفتقر الى العمق الاستراتيجي، الجغرافي والبشري، فانها ما فتئت تسعى الى التعويض عن ذلك باقامة الردع من طريق امتلاك القدرة على التصعيد العسكري السريع في ظروف الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وبالمبادرة الى الهجوم المكثّف والسريع على أهداف عربية أيضاً. وفي إطار هذه النظرة، يخصّص للصواريخ الباليستية دور شديد الاهمية.

ولا ريب فان تزايد دخول الصواريخ الباليستية الى الشرق الاوسط في عقد التسعينات، من شأنه ان ينعكس، بصورة ملموسة وجدية، على الصراع العربي ـ الاسرائيلي. فمن طريق حيازة هذه الصواريخ وتحسينها، تتغيّر طبيعة سباق التسلّح بين اسرائيل والدول العربية، ممّا قد يسمح للعرب بتضييق الفجوات الكمية والنوعية القائمة بينهم وبين اسرائيل. وعلى سبيل المثال، يمكن لسوريا ودول عربية أخرى ان تتجنّب تفوّق اسرائيل الجوي، وان تضرب أهدافاً في عمق الاراضي الاسرائيلية. ووفقاً لبعض الحسابات تستطيع دمشق، من طريق حيازتها على صواريخ من طراز «اس.اس ـ ١» سطح ـ سطح ان توصل قرابة ٥٠ طن من الذخيرة الحربية، بدقة كبيرة، ضد أهداف عسكرية في شمال اسرائيل، ومئة طن اخرى، بدقة أقل، باستعمال صواريخ «سكاد»[٣]. ويمكن لسوريا، أيضاً، ان تستغل بعض «المنافذ»، من طريق الهجوم الانتقائي للصواريخ المزوّدة بأسلحة تقليدية ضد مطارات ومراكز تعبئة اسرائيلية. وفي هذا الصدد، أشار المحلّل العسكري الاسرائيلي، اهارون لافران، الى ان مثل هذه الهجمات «قد تسبّب ضرراً كبيراً لمنشآت عسكرية اسرائيلية حيوية، في فترة زمنية محدودة»[٤].

ومن الجلّي أنه إذا أُلحق باسرائيل مثل هذا الضرر، في بداية الحرب، أمكن إعاقة قدرتها على الدفاع عن مرتفعات الجولان. ولا شك في ان المخططين السوريين يدركون ان من اللازم التأمين السريع لأهدافهم العسكرية الرئيسة في ما يتعلق بمرتفعات الجولان، قبل اكمال التعبئة التامة للقوات الاحتياطية للجيش الاسرائيلي. واذا ما استطاع الجيش السوري ان يقيم، بسرعة، خطاً عسكرياً يمكن الدفاع عنه على جزء من مرتفعات الجولان، فقد يمكنه الحصول على فوائد عسكرية وسياسية من حرب محدودة، وبالتالي توفّر الصواريخ الباليستية للجيش السوري قدرة عسكرية جديدة، وحافزاً على شنّ هجمة بالضربة الاولى ضد القوات الاسرائيلية لاستعادة هضبة الجولان المحتلة.